

الضروري رد سيف البرجوازية الى نحرها، لأن «أية عودة لمواقف الجبهة التي اعقبت حرب تشرين الأول (أكتوبر)، وخلال عامي ٧٤ و ٧٥، ولبيناناتها وتعاميمها وموضوعات مجلتها المركزية، وتصريحات قادتها في تلك الفترة، وكلماتها في دورات المجلس الوطني، تؤكد ان الجبهة كانت تطرح فهمها الخاص للمرحلية والبرنامج المرحلي، وفهمها الخاص للتاكتيك والمساومة (رفض اي صيغة من صيغ التسوية) الذي جاءت الاحداث لتثبت صحته وسلامته»^(٦٥).

هكذا، اذا، يغلُق باب «المزايدة». فكل المسائل، كما يرونها، وتحديداً فيما يتعلق بفهم التاكتيك، والمرحلية، والمساومة، قد أُجريت توضيحه. وجاءت الاحداث تثبت «صحة» هذا الفهم وسلامته. ودليلهم على ذلك هو في فهم هذا المثل الحي، والقريب، أي للمبادرة الاوروبية كما تجلت في «بيان البندقية» - حزيران (يونيو) ١٩٨٠. اذ ان هذا البيان «يشكل صيغة أخرى من صيغ التصفية [هكذا!] لا تختلف عن صيغة كامب ديفيد او مشروع بيرس [١] باستثناء اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية كطرف في مفاوضات التسوية»^(٦٦).

لكن هل هذا الاعتراف - الاستثناء عامل ثانوي، وعديم القيمة الى هذا الحد، حتى يضع التقرير السياسي «بيان البندقية» الى جانب اتفاقيتي كامب ديفيد، ومشروع بيرس، على قدم المساواة؟ والانكى من كل ذلك ما يضيفه التقرير فيما بعد: «اننا، بطبيعة الحال، نستطيع ان نرى التعارضات الحقيقية القائمة بين اطراف اوربا الرأسمالية، من ناحية، واطراف كامب ديفيد، من ناحية ثانية؛ فالنظام المصري يرحب بالمبادرة مع بعض التحفظات، والامبريالية الاميركية تعارض المبادرة حالياً، وحكومة الليكود تقاومها بشدة، وتعمل لايقافها؛ ولكن تجربتنا الطويلة مع هذه التعارضات التي تكون قائمة ضمن اطراف المعسكر الواحد، علمتنا جيداً كيف تذوب هذه التعارضات بهدف مواجهة خطر الثورة، وخطر الجماهير، وخطر التحالف مع البلدان الاشتراكية»^(٦٧).

عن اي فهم خاص للتاكتيك يتحدث مصدر التقرير؟ وبماذا تحكم اي قوة على نفسها، مسبقاً، اذا لم تستفد من هذه التعارضات، واكتفت بانتظار ذوبانها، دون ان تعمل على التقاطها وتطوير مسارها باتجاه يخدم مصلحتها؟

ان موقف الشعبية هذا يمثل اشكاليته؛ اذ بينما هناك، في الواقع، ادراك لعناصر التناقض والاختلاف، في مواقف الاطراف المعنية تجاه العملية السياسية، الا ان هذا الادراك لا يرتقي، في الممارسة السياسية، الى فعل نشط، وایجابي، بل الى ارتداد ذاتي، ونزعة تشككية، تنتهي عند حدود الموقف الاطلاقي عينه؛ وهذا يعكس، في الحقيقة، فهماً متأسلاً، للسياسة عينها، باعتبارها رديفاً للتلوث، ومناقضة لمبادئ النقاء الثوري، والالتزام. ان هذا الفهم ذو الطبيعة الاخلاقية، الذي يستوطن في اللاشعور للسياسة، هو احد الاسباب التي جعلت من الخطاب السياسي للجبهة الشعبية يحمل في طياته كل هذا القدر من المخاوف، والشكوك، تجاه أي تحرك سياسي؛ وهي المخاوف التي يرمز اليها تعبير «تجربتنا الطويلة» الواردة في الفقرة السابقة، حيث لا يعكس هذا التعبير، فقط، الحنين الى المواقف المسبقة (الارث التقليدي) وانما الاستنكاف عن المضي في استنتاج الموقف الملائم الذي ينبثق من المقدمات التي يضعها التحليل ذاته؛ وهكذا، فان التشديد يتم على قدرية ذوبان هذه التعارضات، وليس على ضرورة السعي الى تطويرها، او حتى الاستفادة منها. ان هذه التعارضات يمكن ان تذوب فعلاً، ليس بسبب التماسك بين هذه الاطراف، وانما حين يخف وهج خطر الثورة، او في حال كانت قيادة م.ت.ف. تنطلق، في ممارستها السياسية، من المفهوم عينه الذي تمارسه الجبهة الشعبية. ولكن لنمض في القراءة، لأن ثمة استنتاجات تقريرية هامة. يضيف التقرير: «وعلى المدى الابدع [لا احد يعرف متى